أهمية الجدل ومكانته في أورغانون أرسطو

The importance of the Aristotelian dialectical and its status in the Organon

لونة سامية

[1]المدرسة العليا للأستاذةبوزريعة، louna.samia@yahoo.com

تاريخ الاستلام: ../../2020 تاريخ القبول: ../../2020 تاريخ النشر: ../../2020

ملخص:

نحاول في هذا المقال الوقوف على أهمية الجدل الأرسطي ومكانته في الأورغانون وذلك من خلال دراسة منافع الجدل كما عرضها أرسطو في الفصل الثاني من كتاب (المواضع)،ففي المقام الأول يعد الجدل ترويضا فكريا من أجل أن يكتسب الجدلي مهارة لممارسة النقاشات الجدلية، أما المنفعة الثانية فهي المناظرة التي تسمح بالحجاج،وأخيرا يساعد الجدل في الإعداد للعلوم الفلسفية ،و غرضنا من هذه الدراسة هو بيان طبيعة الاستدلالات الجدلية التي تخضع لنفس القواعد المنطقية الصارمة التي تخضع لها الاستدلالات البرهانية،ولا تخص المناقشات التي تكون بين سائل و مجيب فحسب، بل يمكن الاستعانة بالطريقة الجدلية لدراسة بعض التصورات الفلسفية كالوجود والجوهر.

كلمات مفتاحية: الجدل، البرهان، الاستدلال، المواضع، التحليلات.

Abstract:

The present paper considers the importance of the Aristotelian dialectical method and its status in the Organon through the study of its benefits as presented by Aristotle in the second chapter of his book,**Topics** . First, the debate is considered as a mental gymnastics which allows the dialectician to acquire the ability to practice dialectical debates. The second benefit has to do with the argumentative debates; and finally, the controversy helps to prepare philosophical sciences. Our aim is to show the nature of inferences that are subject to the same strict logical rules as for the debates between a questionner and an answerer. Moreover, the dialectical method can be used to study philosophical conceptions such as "existence " and "substance".

Keywords:dialectic, demonstration, reasoning, topics, Analytics.

مقدمة:

تشكل التحليلات الأولى والثانية الجزئين الثالث والرابع من (الأورغانون)، وقد تناول أرسطو طاليس (384-322 ق.م) في الأولى الأسس النظرية للقياس وبين شروط صحته الصورية وكيفية لزوم النتيجة عن المقدمات لزوماً ضروريا بصرف النظر عن مادة القياس؟ في حين خصّ الثانية بدراسة ماهية القياس التي تكون مقدماته صادقة ويقينية ،وبحث في شروط العلم المرتبط ارتباطا وثيقا بمعرفة العلّة الثابتة، وبذلك تميزت التحليلات بصفة عامة بخضوع العقل لموضوعه خضوعاً تاماً، فهي وثوقية وواقعية هدفها البرهان.

تُحصّل المبادئ إذن بالاستقراء ثم بالبرهان تستخلص النتائج بطريق القياس: وتتدخل الضرورة في البرهان لسببين: ضرورة الرباط بين المقدمتين والنتيجة التي يتميز بها القياس الصوري، تنضاف إليها ضرورة المبادئ التي تنتقل إلى النتيجة بموجب الضرورة القياسية، وما يميز القياس البرهاني عن القياس الصوري الخالص الذي أفرغته المتغيرات من محتواه هو أنه ليس جازما فقط، يضع صدق مقدمتيه، بل علاوة على ذلك يقيني (apodictique)يضع ضرورتهما إما مباشرة أو بالتبعية.(بلانشي، 2004، ص 79)

غير أن أرسطو قد أدرك أنه ليس كل الناس قادرين على إقامة قياس برهاني، و أن المبتدأ في العلم يحتاج قبل البرهان أن يتمرن على أقيسة تختلف في طبيعتها عن اليقينيات، وهي الأقيسة الجدلية، فالإنسان في أكثر الحالات، لا يملك دائما المقدمات الضرورية والصادقة بل يملك آراء تستوجب الاحترام لأن مصدرها أغلبية الناس، وكثيرا ما يلجأ الناس في استدلالاتهم لاستخدام المقدمات الذائعة أو المشهورة ((ENDOXES التي يكون ضدها ليس مستحيلا دائما،ولهذا السبب اعتبر (جول تريكو)J. Tricot (1893- 1963) أن السابق الحقيقي للمنطق ينبغي البحث عنه في الجدل، باعتباره منهجا في المناقشة موضوعه مجرد الاحتمال وعماده مقدمات ظنية فقط، فهو لا يؤدي إلى العلم بل إلى الرأي كما أنه يتميز بالحوار الذي تستعمل فيه الإجابات، لا لحل المشاكل بل للتخلص واجتناب التناقض، فيجاب عن السؤال المطروح بالإثبات أو النفي دون تقديم السبب الحقيقي أو الماهية، فالقياس أداة الجدل كما أنه أداة المنطق، من حيث هو يجعل

القياس صحيحا، إلا أن مقدمتي القياس الجدلي ظنيتان لا غير، فهما لا تعبران عن روابط موضوعية، بل هما من المواضع العامة التي هي مصادر الاستدلالات الخطابية ومبادؤها، ويترتب عن هذا أن النتيجة تكون ظنية فقط .(تريكو، 2015، ص 36)

وبالفعل فإن (طوبيقا) Topiques أرسطو ليست على غرار مؤلفاته العلمية التي تميزت بمنهج واضح، وعناية كبيرة بالمبادئ الكلية، ولا ترتقي الاستدلالات الجدلية إلى مستوى الاستدلالات البرهانية التي تستمد ضرورتها من قضاياها اليقينية، ولا شك أن النموذج العلمي كما حدده أرسطو في التحليلات هو الذي دفع بثلة من المنطقيين والفلاسفة في العصور الحديثة إلى استبعاد الجدل من الدراسات العلمية والمنطقية الصارمة، فنجد (هاملان) O.Hamelin (1856-1907) في كتابه (Le système d'Aristote) قد رتب الجدل إلى جانب الرأي وفصله نهائيا عن العلم، وأكد أن أرسطو نفى أن تكون هناك علاقة بين الحقيقة والجدل. (O.Hamelin,1920,P.231)، كما اعتبر الفيلسوف البريطاني (روس) w.David Ross (1877-1971)المناقشات الجدلية ضربا من التفكير القديم وبين أن أرسطو نفسه قد فتح طريقا أفضل وأوثق في تحليلاته الأولى والثانية التي عملت على أفول نجم الجدل (Ross, 1930, p.86)، أما برانشفيك (1929-2010) Brunschwig ففي تقديمه لكتاب (المواضع) أعطى صورة سلبية لمباحثه واعتبر عناصر هذا الكتاب مجموعة من الفسيفساء غير المترتبة والمستقلة بعضها عن البعض.كما أن القواعد التي وضعها أرسطو من أجل تنظيم المحاورات الجدلية شبيهة بقواعد لعبة لم يعد أحد يلعبها(Brunschwig,1967, P VIII) قد يبدو من خلال ما تقدم أن الجدل مجرد رياضة ذهنية أو لعبة فكرية لا ترتق إلى مستوى الممارسة العلمية و أن كتاب (المواضع) لا يصف النشاط الطبيعي للعقل، ولكن يصف مبارزات جدلية Joutes (dialectiques) ومع ذلك فإنه ينبغي علينا إبداء بعض التحفظات، و أن لا نتسرع في الحكم على قيمة المنافع التي يمكن أن يجنيها كل ممارس للجدل، وسنحاول من خلال هذا المقال البحث في طبيعة الجدل و تحديد مكانته ومنفعته عند أرسطو وإبراز الجوانب المنطقية لهذه الصناعة.

1. موضوع الجدل

في مطلع المقالة الأولى(للطوبيقا) Topiques، يضبط أرسطو غرض الكتاب "إن قصدنا من الكتاب أن نستنبط طريقا يتهيأ لنا - إذا أجبنا جوابا - لم نأت فيه بشيء مضـــــاد."(أرسطو، 1980، ص 489)

وبهذا يكون هدف هذا الكتاب هو إيجاد طريق ملائم يساعد على مناقشة المسائل المطروحة أمام المتجادلين، وقد حدد أبو نصر الفارابي (884م-950م) معنى الطريق "والطريق والمذهب والسبيل عند القدماء، كل ملكة إعتيادية يمعن الإنسان بها على ترتيب نحو غرض ما". (الفارابي، 1986، ص. 13)

فصناعة الجدل ملكة، ولكي تكون هذه الصناعة في أقصى كما لها يشترط ابن رشد (1126م-1918م) شيئين:

- معرفة القوانين التي بها تلئم صناعة الجدل.

-إستعمال تلك القوانين **والرياضة** فيها حتى يصير استعمالها ملكـــــــــــــــــــة.(ابن رشد، 1980، ص.3)

وبالفعل فإن كل صناعة اعتمدت على الفطرة من غير أن يكون للصانع قواعد وقوانين تصقل تلك الفطرة، كانت صناعة ناقصة، فالجدل نشاط منظم حسب قواعد وأصول محددة، ولا يمارسه إلاّ من كان عارفا بقواعده مدربا على استدلالاته

وموضوع الجدل هو الأقيسة الجدلية، ورغم أن هذه الأقيسة تختلف عن الأقيسة البرهانية في مادتها أي طبيعة مقدماتها، إلا أن لها الصورة المنطقية نفسها، ولهذا نجد أرسطو يعيد تعريف القياس في (المواضع) كما عرفه في التحليلات "إن القياس قول إذا وضعت فيه أشياء لزم من تلك الأشيـــــــــاء الموضوعـــــة شيء آخر غيرها من اضـــــطرار."(أرسطو، 1980، ص 489)

ولا تقتصرالاستدلالات الجدلية على القياس، بل اعتبر أرسطو أن الأقاويل المنطقية نوعان: أحدهما استقراء النظائر، والآخر قياس، والاستقراء هو الطريق من الأمور الجزئية إلى الأمر الكلية، مثال ذلك أنه إذا كان الربان الحاذق هو الأفضل، فالأمر كذلك في الفارس، فيصير بالجملة الحاذق في كل واحد من الصنائع هو الأفضل. والاستقراء أكثر إقناعا وأعرف في الحس، فهو يستند

إلىالمحسوسات ولذلك كان أنفع مع الجمهور وهو أسهل معاندة، وبالعكس القياس أقل نفعا وبخاصة عند الجمهور لكنه أشرف من الاستقراء وأشد إلزاما للحجة وأبلغ عن المتناقضين. (أرسطو، 1980، ص507)

كما ميز الفارابي بين نوعين من الاستقراء علمي وجدلي "الاستقراء عسى أن يكون منه جدلي و منه علمي، ويكون الجدلي لتصحيح المقدمة وليبين شهرتها أو صدقها ويكون العلمي لتفهم معنى المقدمة الكلية فقط لا لتصحيحها ولا لإيقاع التصديق بها ولا لإبانة صدقها." (الفارابي، 1986، ص40).

وتعد المقدمات المشهورة من مبادئ صناعة الجدل. وتكون موضوعاتها كلية مهملة، وهي كلية يوثق فيها، وتقبل ويعتقد أنها كذلك، وقد بين ابن رشد أن المقدمة الجدلية قول مشهور يتسلم بالسؤال ليجعل جزء قياس وهي أصناف:

أولها المشهور عند الجميع مثل إن الله موجود، أو مشهورات عند أكثر الناس من غير أن يخالفهم الباقون مثل موقف الفلاسفة في بقاء النفس، وأخيرا صنف الأقوال المشهورة عند العلماء والفلاسفة ويؤيدهم الجمهور فيه، أو المشهور عن ذوي النباهة والصيت من أهل العلم من غير أن يكون رأيا مبتدعا بمعنى يخالف رأي الجمهور.(ابن رشيد، 1980، ص32)

وخلافا للمقدمات الجدلية فإن المقدمات اليقينية مقدمات كلية نصدقها ولا تزيد ثقتنا بصحتها إن شهد الجميع بصدقها لأن صدقها من ذاتها، بينما تكون المقدمات الجدلية كاذبة إذا استذكرها الجميع، وتكون صادقة إذا كانت مقبولة لدى الجميع، وهذا يعنى أن الاستدلالات الجدلية تعتمد على الأقوال الذائعة من جهة ماهي مسلمة ومشهورة، ولا يشترط فيها أن تكون صادقة وإذا كانت حقا صادقة ،وهذا يعني أن المشهورات قد تكون حقا واقعا ولكن لايمكن أن يستعمل في هذه الصناعة غير المشهور بما هو حق لأن ذلك مخالف لطبيعة القياسات الجدلية.

كما أضاف المسلمون تصنيفات أخرى للمشهورات منها ما كان السبب في شهرتها كونها حقا جليا يعترف بها العقلاء، ومنها المحمودات مثل حسن العدل، قبح الظلم ومنها ما يقبلها الناس بحسب جريان العادة عندهم، وهذا ما أكده الشيخ الرئيس عندما قال إن المشهورات ليست بأولية

وإنما تصـــير عند الجمهـــور كأوليات بســـبب التمرن والاعـــتياد. (الرازي، 1994، ص237)

وميز أرسطو بين الذائعات الحقيقية، وذائعات ليست كذلك أو ذائعات في الظاهر وهي ليست كذلك في الحقيقة، ويكون هذا النوع من القضايا مقدمات للقياس السفسطائي، فتكون صورة القياس كما رآها المعلم الأول صحيحـــة ولكنها في الحقيقـــة مموهـــة. (أرسطو، 1980، ص490)

ومن الضروري أن تثير مقدمات القياس الجدلي إشكالا أو لبسا، لأن الداعي للمناقشة الجدلية هو وجود مسألة تحدث لبسا في أذهان الناس، ولايتحرك الذهن إلى رفع هذا الالتباس إلا إذا أحس بوجود مشكلة حقيقية تشد الذهن إليها شدا تتساوى فيه الحلول الممكنة التي تتبادر إليه منذ الوهلة الأولى التي يدرك فيه المشكل، ولذلك لابد أن يكون محور المقابلات الجدلية هو مسألة يختلف الناس حولها ولاتتجه فيها الحلول اتجاها واحدا، فالمقدمة الجدلية كما بين ذلك الفارابي ،قضية سبيلها أن تتسلم بالسؤال ليجعل جزء قياس يلتمس به على وجهة الجدل إبطال قول ما. (الفارابي، 1986، ص65)، وبهذا تكون المسألة الجدلية هي نفسها المقدمة الجدلية باختلاف الجهة، ويعطي أرسطو مثالا يبين فيه الاختلاف بينهما ((والمسألة إنما تخالف المقدمة بالجهة. وذلك أن هذا القول إذا قيل على هذه الجهة ليس قولنا: حي - مشاء - ذو رجلين حدا للإنسان ؟ تكون مقدمة .وكذلك إذا قيل أليس الحي جنسا للإنسان؟كان مقدمة.فإن قيل هل قولنا حي-مشاء-ذو رجلين،-حد للإنسان وهل قولنا" الحي " جنس للإنسان أم لا؟ - كانت مسألة. وعـــلى ذلك المثـــال يجري الأمر في سائر الأشيـــاء الأخرى ." (أرسطو، 1980، ص494)

ولا يصلح أن تكون كل مسألة مطلب جدلي، لأن ما لايشك فيه أحد من الناس ولايختلفون فيه هو غني عن الإثبات، فلا إشكال إلا فيما ليس بديهيا و بذلك يكون أرسطو قد أقر أن المناقشات الجدلية لابد أن تنطلق من مسألة يمتلك كل من السائل والمجيب فيها حججا تدعم رأيه، وأنه لابد أن تستبعد المسائل البديهية لأن البحث في هذه المسائل يشكل عبثا، كما ينبغي استبعاد المسائل المستحيلة واعتبرها أرسطو من الممنوعات.

2. منافع صناعة الجدل

1.2 التدريب والارتياض الفكري

إن الاستدلالات بشكل عام والاستدلالات الجدلية بشكل خاص تقوم على استعداد طبيعي، وهو استعداد يجعل الكائن ناطقا، غير أن هذا الاستعداد لابد أن ينميه التدريب والدراسة والمناقشات الجدلية تحتاج بشكل كبير إلى حسن قيادة استدلالاتها، وهذه القيادة مماثلة لأمر الفاعليات المقننة الأخرى، إذ معرفة اللعب بكرة المضرب أو لعب الشطرنج هو قبل كل شيء معرفة قواعد اللعبة، وهذا شرط ضروري، واللعب هو التقيد بها، ومعرفة هذه القوانين كافية للحكم الذي يعاقبنا أو يطردنا من اللعب إن نحن خرقناها. (بلاتشي، 2008، ص25)

وهكذا تكون أول منفعة يقدمها لنا الجدل هي تدريب الذهن وترويضه على الاستدلالات الجدلية، يقول أرسطو "والأمر في أن هذا الكتاب نافع في الرياضة ظاهر بين من هذا، وذلك إنه إذا كان لنا طريق نسلكه أمكننا بأسهل مأخذ أن نحتج فيما نقصد للحجة فيه." (أرسطو، 1980، ص492) ،والمنفعة المقصودة بالذات في الجدل هي تسوية الآراء النافعة وتأييدها وتبكيت المبطلين والغلبة على ذوي الآراء الفاسدة، ولذلك عرض أرسطو طاليس في الكتاب الثامن من (المواضع) مجموعة من القواعد تنظم المناقشات الجدلية التي تكون بين مجيب (répondant)ملزم بالدفاع عن أطروحته وبين سائل (questionneur) يريد تفنيد أطروحة خصمه.

وقد وضح ابن سينا ما المقصود بالسائل الجدلي و المجيب، فالأول يسأل ليكون قياسا من مقدمات قد تسلمها، بمعنى يتسلم السائل من المجيب مقدمة، فإذا استوفاها تسلما جعلها في صورة ضرب منتج، فكان المجيب لايجد محيصا عن إلزامه في مدة قصيرة، إذا كان تقدم فسلم المقدمات.(ابن سينا، 1956، ج3، ص27)،وبهذا يكون السائل ملزما من حيث هو سائل بأن يكون قياسا، بينما المجيب فلا يلزمه ذلك.

لقد وضع أرسطو للمناقشات الجدلية قواعد مضبوطة ينبغي إتباعها بدقة من أجل ضمان جودة هذه المناقشات وعندما يتمرن المجادل على هذه الصناعة يجد نفسه قادرا على التعامل مع أي وضع كان ويتيسر عليه إثبات وضع ما أو إبطاله و يتوج النقاش بين السائل والمجيب بانتصار

أحدهما، فإن كانت الغلبة للسائل سمي المقام تبكيتاً، لأن السائل قد نجح في إبطال وضع المجيب، وإن نجح المجيب في إثبات الوضع الذي اختاره سمي المقام عنادا.

وقد بين الفارابي أن الغاية القصوى ليست الغلبة بقدر ماهي سبب وداعية إلى تجويد الأفعال التي تكون عنها الغلبة، فالغاية من هذه الصناعة الرياضية الفكرية هي تجويد هذه الصناعة والتزيد من الارتياض وإعداد الأشياء التي بها تكون الغلبة والاستكثار منها. (الفارابي، 1986، ص33) ،وإن كان ظاهر الجدل هو الغلبة فإن أرسطو يحذر أن تكون الغاية الحقيقية هي الغلبة، بل الارتياض وإعداد العقول نحو العلوم، فينبغي أن يجتهد السائل بأن يأتي بكل ما يمكن أن يبطل أطروحة الخصم، بينما يحاول المجيب أن لا يستسلم بما يمكن أن يبطل أطروحته، فإن فعلا ذلك فقد وفيا الصناعة حقها، ولايهم من الغالب أو المغلوب.

ولكي تحصل ملكة الجدل لابد أن يستعين الجدلي بأدوات تعينه على حسن استنباط القياسات الجدلية من هذه الأدوات:

- حسن اختيار المقدمات أو كما سماها أرسطو "اقتضاب المقدمات" (أرسطو، 1980، ص508) فينبغي على الممارس لهذه الصناعة أن يتصيد المقدمات المناسبة ويتمكن من الاستفادة من المشهورات في وقت الحاجة عند الاحتجاج على خصمه، وليس هذا بالأمر الهين، بل يحتاج إلى زمن طويل حتى تحصل الملكة، إذ عليه أن يستحضر أصناف المشهورات من كل باب ومن كل مادة على اختلافها، ويعدها في ذاكرته لوقت الحاجة وأن يميز بين الشائعات الحقيقية وغيرها، وهذه الأداة ضرورية في الجدل، لأن الجدلي لاينبغي له أن ينقطع أمام الجمهور ولا يحسن منه أن يتأنى ويطلب التذكر أو المراجعة. (المظفر، 1968، ص386)

والمسائل التي يمكن أن نقتضب منها المشهورات هي المسائل المرتبطة بالأخلاق والمنطق أو الطبيعة، ومهمة الجدلي هي القدرة على استحضار المقدمات التي تناسب كل مسألة وذلك بتفحص أنواع المقدمات وإذا ما داوم على تصفح آراء الجمهور وآراء أكثرهم وآراء جميع الفلاسفة وأهل النباهة منهم، فالتقط المشهورات وعدها وحفظها، حصل له بهذه الرياضة القدرة على استحضار المقدمات المشهورة.

- إن الجدل قائم على تبادل المعاني بواسطة ألفاظ، والحاجة إلى ضبط دلالة الألفاظ ضرورة يقتضيها الحوار السليم، فيكون من واجب السائل والمجيب تحديد مدلولات الألفاظ التي يستعملانها في استدلالاتهم الجدلية وذلك يكون بالتعريف (La définition) والتعريف هو الذي يلزم كل من السائل والمجيب بأن يقول أني أعني باللفظ الفلاني الشيء الفلاني إن كان الطرف الآخر لا يعرف مدلول اللفظ المستعمل، احتياطا ودفعا لكل التباس محتمل، ويعين هذا التحديد في الألفاظ المشتركة التي تدل على أكثر من معنى أو ما يسميها أرسطو ما يقال على أنحاء كثيرة. (أرسطو، 1980، ص 519)

وتعد هذه الآلة من أهم آلات استنباط القياس الجدلي، لأنها تسمح بفهم المعنى المقصود من اللفظ داخل سياق معين ولهذا فإن القدرة والقوة على التمييز بين معاني الألفاظ المشتركة والمنقولة والمشككة والمتواطئة و المتباينة والمترادفة وما إليها من أحوال الألفاظ والقدرة على تفصيلها على وجه يستطيع أن يرفع ما يطرأ من غموض واشتباه فيها، حتى لا يقتصر على الدعوى المجردة في إيرادها في حججها، بل يتبين وجه الاشتراك أو التشكيك أو غير ذلك من الأحوال.(المظفر، 1968، ص 386)

إن القدرة على تجنب الاشتراك يجنب المتخاطبين ألا يكونا متخاطبين في معنيين متباينين وهما يظنان أنهما يتخاطبان في معنى واحد، وفي نفس هذا غير ما في نفس الآخر وما يبطله أحدهما غير الذي يثبته الآخر.(ابن رشد، 1980، ص 58)

- الأداة الثالثة هي القدرة على التمييز بين المتشابهات ويكون ذلك، بمعرفة الفروق بين الأشياء المتشابهة كثيرا أو المتشابهة بالجنس المختلفة بالفصول أو غيرها، فالشجاعة والعدل كلها من جنس الفضائل لكنها تختلف عن بعضها البعض في الفصول.ولأن المقدمة الجدلية مقدمة كلية، فلايجوز أن يكون المحمول فيها نوعا، ولذلك فالحمل يكون إما جنسا أو نوعا وإما خاصة وإما أن يكون فصلا نوعيا، والمحمول إما أن يكون مساويا للموضوع في الماصدق أو لايكون، فإن كان مساويا (أي ينعكس) فإما أن يكون ماهية الموضوع وهو إذن حده، أو لايكونها، وهو إذن خاصته، وإن لم يكن مساويا، فإما أن يكون جزء من الحد، وهو إذن جنس الموضوع أو فصله النوعي، أو لايكون جزء من الحد، وهو إذن عرض. (يوسف كرم، 2016، ص149)

ولاشك أن معرفة مختلف المحمولات التي يمكن أن تحمل على موضوع ما وتعيين طبيعتها وبالتالي طبيعة العلاقة التي تربط الموضوع بالمحمول وتميز العلاقة الماهوية عن العلاقة العرضية، تساعد الجدلي في تركيب استدلالاته وفق طريقة صحيحة تجنبه الوقوع في التناقض.

وعموما معرفة إن كان المحمول عين الموضوع أم أنه خاصة، ومعرفة إن كانت هذه الخاصة مرتبطة بالموضوع بالضرورة أو بالعرض ،من الأمور الهامة في عملية التعريف، ومن الضروري عند أرسطو أن يعبر التعريف عن ماهية الموضوع، وتكمن المهارة هنا في اختيار الجنس الملائم للموضوع المعرف وكلما تم هذا يجب التّأكد من أن الجنس وضع في المكان المناسب في التعريف .(محمد فتحي عبد الله، 1995، ص99)

2.2 المناظرة.

المنفعة الثانية التي ذكرها أرسطو للجدل هي المناظرة، وتأتي أهمية المناظرة عنده من خلال تأكيد عقائد الناس ومحاولة تصحيح الآراء غير الصحيحة الموجودة لديهم هذه الأحوال هي المشهورات والمسلمات التي تؤلف مقدمات للقياس الجدلي (Topiques,I,2,101a30)

والمناظرة حوار لايمكن أن يعقد إلا بوجود طرفين على الأقل يهدفان الوصول إلى الحق وذلك بواسطة الحجج، ولابد أن يمتلكا مهارة لصياغة الحجة وبناء استدلالات صحيحة صوريا.

ويعتبر (تريكو) Tricot المناظرة أو المقابلات اليومية حوارايحدث مع أول قادم يلقاه المرء مصادفة، يقوم فيه المتحاوران بنصب الحجج المؤيدة أو المعارضة التي تعتمد على المشهورات، وبهذا تكون المناظرة مبارزة كلامية (Joute oratoire) أساسها مواجهة بين السائل والمجيب ومنطلقها المواضع المشتركة التي يتقاسمها الناس جميعا، والمواضع المشتركة عند أرسطو هي المعارف العامة التي هي بمثابة المبادئ التي يملكها جميع الناس والتي تكون محل اتفاق بينهم فهم لايختلفون في الاحتكام إليها عند الجدال.(يعقوبي، 1995، ص28)

إن الجدل عند أرسطو نمط حجاجي يقوم على حسن اختيار المسألة الجدلية التي هي محل خلاف، وبما أن غرض الجدل هو الإقناع فلا يكون ذلك إلا بالحجة التي هي حركة عقلية مؤلفة من عناصر معينة تربط بينها علاقات معينة وتترتب فيما بينها ترتيبا معينا، فيسعى الطرفين إلى تركيب استدلالات صحيحة تعتمد في مقدماتها على قضايا أقرب إلى القضايا البرهانية، ولذلك لابد أن

تكون هذه الاستدلالات محكمة بشكل دقيق لا تترك مجالا للنقاش وتكون بذلك قوة مرغمة على التصديق.

لقد تبين لنا بوضوح أن التبادلات الجدلية لابد أن تكون وفق إطار محدد يمارسه أناس ذوو خبرة يعرفون خبايا هذه الصناعة، فالمناقشات التي تجري وفق القواعد إلي يقترحها علينا أرسطو في (الطوبيقا) تخص الجدلي المحترف الذي يطبق فنه بمنهجية ودقة عالية، ولذلك فهو مطالب باستخدام قدراته الحجاجية التي يملكها من يشارك فيها مع الإنسان العادي.

3.2 الإعداد للعلوم الفلسفية

المنفعة الثالثة للجدل هي توطئته للعلوم اليقينية، فترويض الذهن على الحجاج في الجدل يعود صاحبه كيفية الفحص، وكيفية ترتيب الأقوال وتنظيمها، فيكسب ذهنه سرعة الوقوف على علة القياس وهو الحد الأوسط، وسرعة معرفة القياس الفاسد من القياس الصحيح والوقوف على مواضع العناد في هذه الأقوال، ومن دون أن يوطأ ذهن الإنسان هذه التوطئة، لا يمكن أن يصير إلى الحق والآراء الفلسفية لأن الإنسان يعرف أولا الآراء المشهورة، وهي مقدمات اعتمدت في بادئ الأمر دون تعقب ولذلك يمكن أن يكون فيها كذب من غير أن يشعر به الإنسان، فيضطرلامتحانها وتعقبها ولن يكون ذلكإلا بالوقوف على مواضع العناد و لايمكن للإنسان أن يصير إلى الحق و الفلسفة إلابالقوة الجدلية. (الفارابي1986،ص29)

ومن الواضح أن الطريقة التي اقترحها أسطو في الجدل من الممكن أن تكون مفيدة للعلم،ذلك أن المعالجة الجدلية لمشكلة ما تسمح باستخراجالتناقضات الممكنة في الحلول المقترحة، وفي الوقت نفسه تسمح بإثبات حقيقة ما أو بيان أنالمشكلة في حد ذاتها ليست كذلك،و في بيان هذه المنفعة قال ابن رشد:"أنا متى أردنا أن نقف على الحقفي مطلوب ما، فعسير علينا دركه، أمكننا بهذه الصناعة أن نأتي في ذلك المطلوب بقياسين متناقضين، أحدهما يثبته و الأخر يبطله ، فإذا فعلنا ذلك أمكننا بسهولة أن نميز الجزء الصادق الذي في ذينك القولين المتناقضين من الكذب بأن نسبر مقدمات القياسين بالسبارات البرهانية حتى نخلص المحمولات الذاتية منها عن العرضية."(ابن رشد،1980،ص11.)

إن فكرة أن يكون الجدل توطئة للمعارف الفلسفية.قد دفع الشراح إلى القول أن أرسطو قد عزم على أن يعمل للبرهان عملا مماثلا للعمل الذي كان قد انتهى من عمله بكتابة (المواضع) في

المحاجة الجدلية وتكون الاستدلالات الجدلية تدريبا وترويضا لممارسة الاستدلالات البرهانية ومعدة للعلوم اليقينية ، لأن المقدمات المشهورة التي يعتمدها الجدلي بعضها مستنبط من العلوم اليقينية.

إن صناعة الجدل كطريقة ليست حكرا على (المواضع) ولإثبات هذه الفكرة حاول (أوبانك) P.Aubenque بيان أن مسألة الوجود عند أرسطو لا يمكن دراستها عن طريق البرهان، وأن الطريقة التي اتبعها المعلم الأول أقرب إلى المحاجة الجدلية من البرهنة العلمية، وأن(مشكلة الوجود) لابد أن تدرس دراسة جدلية، لأن الوجود ليس جنسا (genre) والبرهنة لا تكون بالجنس، فالوجود لا يمكن أن يكون موضوعا للعلم، وهذا ما فعله أرسطو عندما أثار صعوبة تعريف الوجود ويقترح حلولا متعددة، وصعوبة تعريف الوجودسببها حسب أرسطو أن الوجود "يقال بمعان كثيرة" فهو يوصف من جهة بأنه وجود بالقوة أو وجود بالفعل، وهو من جهة أخرى هيولى أو صورة.كما يمكن أن نعبر عنه بالمقولات العشر.و قد بين أرسطو أنه بإمكان الآلة الثانية للجدل أن تساعد على التمييز بين مختلف معاني الألفاظ ومعرفة المشتركة منها، ومن ثم نستنتج بسهولة أهمية الجدل في مباحث الوجود .(Aubenque, 2005, p 301).

وقد سبق المعلم الثاني (أوبانك) Aubenque لهذه الفكرة عندما قال:" ولذلك نجد أرسطو طاليس يقدم أيضا في أوائل أقاويله في جل ما يلتمس تبيينه من العلوم الطبيعية والإلهية والمدنية الأقاويل الجدلية والفحص الجدلي عن ذلك الشيء. حتى إذا استوفاها صار بعد ذلك إلى إحضار البراهين في ذلك الشيء ". (الفارابي، 1986، ص 31)

وقول الفارابي دليل على أن أرسطو استعان بالجدل واستعمله في مختلف مؤلفاته، وأنه ميز بين الجدل الذي يقوم على الارتياض وبين القياسات التي تحققت فيها الشروط العلمية والبرهانية فأصبحت براهين. وكل الأقاويل التي لم تتحقق فيها الشروط العلمية بقيت خاصة بالجدل واستعملت للارتياض فقط.

كما أضاف أرسطو منفعة رابعة، اعتبرها المنطقيون متفرعة عن المنفعة الثالثة وهي" وقد ينتفع به أيضا في أوائل كل علم من العلوم وذلك أنه ليس يمكننا أن نقول فيها شيئا من الأشياء من المبادئ تخص العلم الذي ننحو نحوه، لأنها مبادئ أولى للجميع." (أرسطو، 1980، ص 492)

إن كل علم يعتمد على مجموعة من المبادئ غير المبرهنة، لأنه من غير الممكن أن نستمر في البحث عن العلل إلى مالا نهاية، ويوكل أرسطو مهمة دراسة هذه المبادئ إلى الجدل، وقد أثارت هذه الفكرة جدلا كبيرا بين المحدثين ،إذ كيف يمكن أن يؤسس الجدل المبني على مقدمات ممكنة (شائعة) لمبادئ العلوم اليقينية، وقد أكد بعضهم ومنهم أوبنكAubenque أن أرسطو قد درس المبادئ الأولى للعلم بالطريقة الجدلية وأنه قد تناول مبدأ المبادئ وهو مبدأ عدم التناقض في كتاب الميتافيزيقا تناولا جدليا. (Aubenque, 2009, p 62)

كما ذهب آخرون إلى تصور ازدواجية في الجدل وأن أرسطو قصد بالجدل نوعينجدلا خالصا(dialectiquepure)وهو جدل خالي من أي قيمة علمية لتبعيته للآراء المشهورة وجدلا قويا(fortedialectique).وهو الجدل المؤسس على الآراء المشهورة اليقينية. (IRWIN،1997،1988)

خاتمة:

مهد المجادلون و السفسطائيون للمنطق بالعناية التي خصوا بها فن المناظرة ،ولكن الأمر عندهم لم يتجاوز حدود صناعة تجريبية قدمت طرقا عملية للمحاجة، أما مع أرسطو فإن هذه الصناعة قد ارتقت إلى مستوى العلم النظري له قواعده و قوانينه التي تضمن صحته، ولا يكفي أن تكون هذه الاستعمالات صحيحة، بل لا بد أن تجرى بشكل مناسب وسليم.

ويمكن في الجملة التميز بين ثلاثمراحل في تكوين المنطق، أولها ممارسة الجدل الذي يجري بشكل واع لكنه غير مصبوب بعد في نظرية وباق فيمستوى التوصيات التي يعمل بها و لم تستخلص بشكل صريح ثم المرحلة الثانية هي مرحلة الشرح والتنظيم الشامل لهذه القواعد المستعملةفي الحجاج الجدلي، وهو العمل الجيد والمعترف بكونه جديدا والذي قام به أرسطو في كتاب (المواضع)، وأخيرا المرحلة الثالثة التي تم فيها الانتقال من دراسة المحاجة الجدلية إلى نظرية الاستدلال الصوري عامة، أي إلى المنطق وهذا هو التقدم الذي أدى من (المواضع) إلى (العبارة) فإلى (التحليلات). (بلانشي، 2004، ص 8)

إن المتأمل للموضوعات التي جاءت في كتاب (الطوبيقا) كالمقولات والتعريف وشروطه، والكليات الخمسة، يدرك أن الممارس للجدل لابد أن يكون على دراية تامة بمختلف المباحث التي

يختص بها المنطق، فلكي يستقيم الاستدلال الجدلي ولا يقع في التمويه والمغالطة لابد أن يراعي قواعد القياس، ولابد أن يدقق في علاقة الموضوع بالمحمول، ففي مبحث التعريف مثلا يرى أرسطو أن الموجودات تصنف إلى أنواع وأن هذه الأنواع تندرج تحت أجناس وهذه الأجناس تندرج بدورها تحت أجناس أعلى منها، ومعرفة نوع من الأنواع يكون بتعريفه، وتعريفه يكون بذكر ماهيته وهي الجنس الأقرب إليه مضافا إليه فصله النوعي الذي يميزه عن الأنواع الأخرى.ولابد للجدلي أن يعرف مختلف الأخطاء التي يلجأ إليها المغالط لكي لا يقع في فخها.

من كل ما سبق يتبين أننا لا يمكن أن ننكر قيمة الجدل وخلافا لما قاله (روس) Ross فإن المناقشات الجدلية ليست مرتبطة بمرحلة زمنية معينة، بل على العكس من ذلك تبين أنها الطريق الوحيد الذي يمهد للمعارف العلمية، ولذلك ذهب فخر الدين الرازي (1149م-1210م) إلى الإقرار بأن الأقيسة الجدلية شديدة الشبه بالأقيسة البرهانية، وتختلف عنها بفروقات دقيقة وإذا عرف الإنسان في هذه الصناعة تلك الفروقات، كان له ذلك عونا لمعرفة شروط البرهان، باعتبار أن المتشابهين إذا عرفت كيفية امتياز أحد الجانبين عن الآخر، أعان ذلك على معرفة امتياز الجانب الآخر عن الأول. (الرازي، 1994، ص 230)

وخلاصة القول إن دراسة الجدل عند أرسطو كان ضمن مشروع عام في الأورغانون، وهو مشروع دراسة مختلف الاستدلالات ودراسة قواعدها ومعرفة مادتها وصورتها، وهذه الاستدلالات ليست مقتصرة على البرهانية فقط، ولكنها جامعة لمختلف الأقاويل التي يتلفظ بها الإنسان.

المراجع:

1. ابن رشد أبو الوليد، 1980، تلخيص كتاب الجدل، تحقيق وتعليق محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
2. ابن سينا ابو الحسن عبدالله، 1965، الشفاء، تحقيق أحمد فؤاد الاهواني، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة.
3. أرسطو، 1980، حققه ونشره عبد الرحمن بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الكويت.
4. بلانشي روبير، 2004، المنطق وتاريخه من أرسطو إلى راسل، ترجمة محمود يعقوبي، دار الكتاب الحديث، الجزائر.

5. تريكو جول، 2015، المنطق الصوري، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
6. الرازي فخر الدين، 1994، شرح عيون الحكمة، ط1 ج1، مؤسسة الصادق، طهران.
7. الفارابي أبو نصر، 1986، كتاب الجدل، تحقيق وتعليق رفيق العجم، دار المشرق، بيروت.
8. كرم يوسف، 2016، الفلسفة اليونانية، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة.
9. المظفر محمد رضا، 1968، المنطق، مطبعة النعمان، النجف.
10. يعقوبي محمود، 1995، أصول الخطاب الفلسفي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
11. Aristote, 1967, Topirques, tome 1, livre I à IV, trad. Brunschwig, les belles lettres, Paris.
12. Aristote, 2007, Topirques, tome 1, livre V à VI, trad. Brunschwig, les belles lettres, Paris.
13. Aubenque pierre, 2005, la fonction de l'aporie dans la métaphysique d'Aristote, perspectives contemporaines, J. vrin, pp. 7-16.
14. Aubenque pierre, 2009, le problème de l'être chez Aristote, P.U.F. Quadrige. V^{e} édition, Paris.
15. Hamelin octave, 1976, Le systeme d'Aristote, librairie philosophique J. virn, Paris.
16. Irwin Terence Henry, 1988, aristotle's first principles, oxford.
17. Ross David, 2000, Aristote, trad. jean Samuel, édition des archives contemporaines, Paris.